دلالات الإعجاز البياني للآيات المتشابهة في قصة آدم عليه السلام: دراسة تحليلية

Implications of the Literary Inimitability of Mutashābih Verses in the Story of Adam: An Analytical Study

Implikasi Ketulinan Kesusasteraan Ayat Mutashābih Mengenai Kisah Adam: Satu Kajian Analitikal

رضوان جمال الأطرش*، وحسام الدين مخلوف**

الملخّص

تتناول هذه الدراسة الآيات المتشابهة في قصة آدم عليه السلام من حيث الإعجاز القرآني البياني فيها، حيث حلَّل الباحثان تلك الآيات القرآنية، ووقفا على أسرارها البلاغية والبيانية والدلالية. وتتجلى أهمية هذا الموضوع في كونه يكشف عن دلائل إعجاز القرآن الكريم. واعتمدت هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي في جمع الآيات القرآنية المتشابهة من القصة، وما تعلق بها من نصوص تفسيرية، ومن ثم المنهج التحليلي لاستخلاص أهم الدلالات البيانية. ومن أهم ما توصَّل إليه الباحثان أنَّ التعبير القرآني في الآيات المتشابهة في قصة آدم جاء في أعلى درجات البلاغة والبيان، فالحرف الواحد في هذه الآيات معجز في موضعه الذي لا يغني عنه غيره في تماسك الكلمة، وكذلك الكلمة في تماسك الجملة، والجملة في تماسك الآية، والآيات في تماسك السورة.

* أستاذ مشارك بقسم دراسات القرآن والسنة، في كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

** طالب دكتوراه في قسم دراسات القرآن والسنة، في كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الإعجاز البياني، المتشابه اللفظي، قصة آدم، الدلالات.

Abstract

This study deals with Mutashābih verses in the story of Adam (peace be upon him) in terms of their miraculous content contained therein. The researchers analysed those Qur'anic verses to discover their rhetorical and semantic secrets. The importance of this topic is its revealing dimensions of the miracle of the Qur'an. This study uses on inductive approach in collecting Mutashābih verses of the story of Adam (peace be upon him) with recourse to explanatory texts. It also uses the analytical method to extract the most important semantic and rhetorical implications. Among the most important findings is that the Mutashābih verses in the story of Adam (peace be upon him) are of the highest degree of eloquence. Every letter in such verses is miraculously positioned in its place and cannot be replaced by other letters in the cohesion of the word, just as the word is in its right place for the cohesion of the sentence, and the sentence in the cohesion of the verse and verses in the cohesion of the Sūrah.

Keywords: the Qur'an, Linguistic Inimitability, Literal Mutashābih, the story of Adam, Evidences.

Abstrak

Kajian ini membincang mengenai ayat-ayat Mutashābih dalam kisah Adam (saw) dari segi kandungan keajaibannya yang terdapat di dalamnya. Penyelidik menganalisis ayat-ayat al-Quran untuk mencari rahsia retorik dan semantiknya. Kepentingan topik ini adalah dimensinya yang mendedahkan keajaiban al-Quran. Kajian ini menggunakan pendekatan induktif dalam mengumpul ayat-ayat Mutashābih dari kisah Adam (saw) dengan bantuan penerangan teks. Ia juga menggunakan kaedah analisis untuk mengekstrak implikasi semantik dan retorik yang paling penting. Antara penemuan yang paling penting adalah bahawa ayat-ayat Mutashābih dalam kisah Adam (saw) adalah yang sangat tinggi darjat kefasihannya. Setiap huruf dalam ayat-ayat ini diletakkan secara ajaib di tempatnya dan tidak boleh digantikan dengan huruf lain dalam kepaduan dengan perkataan, sama seperti perkataan itu di tempat yang tepat untuk kepaduan kalimah itu, dan kalimah itu dalam kepaduan ayat dan ayat-ayat dalam kepaduan Sūrah.

Kata Kunci: al- Qur'an, Ketulinan Linguistik, Mutashābih Literal, Kisah Adam, Bukti-bukti.

المقدمة

إنَّ البحث اللغوي في القرآن الكريم يشكل تحديًا كبيرًا أمام علماء اللغة والتفسير، نظرًا لعظمة هذا الكتاب وأسراره اللاَّمتناهية، حيث لا يزال هذا المجال يستحقُّ الكثير من الدراسات للكشف عن طبيعة النصِّ القرآني، ومظاهره الإعجازية خاصة في محور القصص القرآني، ونخصُّ بالذِّكر قصة آدم عليه السلام، وخاصة الآيات المتشابهة منها، ممّا يحمل على خوض غمار هذا البحث ومحاولة الكشف عن أسرار إعجازه، والوقوف على الدقائق البليغة، والدرر النفيسة في تلك الآيات الكريمة، وما فيها من لمسات بيانية، وجماليات فنية، قررت حقيقة المعجزة الخالدة للقرآن الكريم، فالقصة القرآنية لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين أن يأتي بمثلها لدقة إحكامها، وحسن بيانها، وجمال نظمها، وسمو أهدافها.

وفي بداية هذه الدراسة سنحدد مفهوم الدلالة، والإعجاز البياني، والآيات المتشابهة، ليسهل بعد ذلك فهم إشارات الآيات القرآنية الكريمة، وسنحاول بعدها معرفة أسرار التعبير القرآني، ودلالاته في الآيات المتشابهة لقصة آدم عليه السلام في مواطن ورودها في القرآن الكريم، فقد وردت آيات قصة آدم عليه السلام في سبع سور قرآنية، وهي حسب ترتيب السور في المصحف كالآتي: سورة البقرة، الأعراف، الحجر، الإسراء، الكهف، طه، ص[1]. وسيكون التركيز في هذه الدراسة منصبًّا على الآيات المتشابهة في القصة،

---

[1] وأما عدد الآيات وأرقامها فهو كما يلي:

1_ في سورة البقرة: عشر آيات (30_39).

2_ في سورة الأعراف: 15 آية (11_25).

3_ في سورة الحجر: 19 آية (26_44).

4_ في سورة الإسراء: 5 آيات (60_65).

5- في سورة الكهف: آية واحدة (رقم50).

والتي اشتد التشابه بينها، لكن مع شيء من التغيير في التعبير، للكشف عن روعة التعبير القرآني، وعظمة الإعجاز البياني في هذه الآيات الكريمات المتشابهة.

تعريف الدلالة

تُعرَف الدلالة عند العلماء بأنها: "ما يمكن أن يستدل بها على معنى من المعاني قد يفهم صريحا من النص أو الكلام"[2].

تعريف الإعجاز البياني

هو: "تلاؤم أو توافق الألفاظ مع معانيها تلاؤمًا محكمًا في الدلالة، والموقف، والسياق، وبشكل معجز يتحدى بنظمها البشرية كلها أن يأتوا بمثله"[3].

والقرآن الكريم يحتوي على ضربين من المعاني، هما المعاني الأولية، والمعاني الفرعية. فالمعنى الأولي لأي كلام بليغ هو ما يستفاد من هذا الكلام، وسمي أوليًّا لأنه أول ما يفهم من اللفظ...

أمَّا المعنى الفرعي فهو ما يستفاد من الكلام زائدًا على معناه الأولي، وسمي ثانويًا لأنه متأخر في فهمه عن ذلك[4].

تعريف الآيات المتشابهة

ويقصد بها تلك الآيات التي تكررت من حيث اللفظ مع اختلاف فيما بينها بإبدال

6_ في سورة طه: 13 آية (115_127).

7_ في سورة ص: 19 آية (67_85).

[2] عبد الله محمد الجيوسي، **التعبير القرآني والدلالة النفسية** (كوالالمبور: الجامعة الإسلامية العالمية، رسالة دكتوراه، أكتوبر 2001م)، ص22.

[3] رضوان جمال الأطرش، **وجوه الإعجاز القرآني**' (كوالالمبور: الجامعة الإسلامية العالمية للنشر، ط2، 2012م)، ص95.

[4] انظر: عبد الله الجيوسي، **التعبير القرآني والدلالة النفسية**، ص25.

وبزيادة أو نقصان وبتقديم أو تأخير، مما يقتضي تعليلا أو توجيها[5].

وما نقصده من دلالات الإعجاز البياني للآيات المتشابهة في قصة آدم عليه السلام هو ما تحويه هذه الآيات الكريمة من إشارات، وتلميحات، ونكت، ولطائف لغوية وبيانية تثبت حقيقة أنَّ القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة.

الدلالات البيانية للآيات المتشابهة في قصة آدم عليه السلام

دلالات متشابه الأمر بالسجود

ويمكن تقسيمه إلى قسمين[6]: أمر تنجيزي، وأمر تعليقي، وليس هناك تناقض بين الأمرين، وإنما هو من باب حكاية الشيء الواحد بصور عديدة، تكمل بعضها بعضا طبقا لمقتضيات حال الحكاية كما سيأتي بيانه[7].

أولًا: الأمر التنجيزي: وإليه أشارت الآيات التالية:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا...﴾ [البقرة:34].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا...﴾ [الأعراف:11].

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا...﴾ [الإسراء:61].

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا...﴾ [الكهف:50].

---

[5] انظر: الشريف الدريدح، **المتشابه اللفظي ودلالته في القصص القرآني** (قصة آدم نموذجا)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير بقسم اللغة العربية والدراسات القرآنية بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية في قسنطينة (الجزائر)، سنة 2012م، ص8.

[6] وهو في الحقيقة أمر واحد ورد بصورتين: على سبيل التعليق في سورة ص، وهي أسبق سور هذه القصة نزولا، والمقصود منه: تعليق الأمر بالسجود بعد الانتهاء من خلق آدم وتسويته، وورد على سبيل التنجيز في السور الأخرى، أي: استوى خلق آدم عليه السلام، وأُنجز الأمر فاسجدوا الآن،وفي هذا دلالة على أنَّ الأمور المعلقة عند الله سبحانه في حكم المنجزة. انظر: عبد الجواد طبق، **متشابه النظم القرآني في قصة آدم عليه السلام** (مصر: دار الأرقم، ط1، 1993م)، ص118.

[7] انظر: المرجع نفسه، ص116.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ [طه:116].

ثانيًا: الأمر التعليقي: وإليه أشارت الآيات التالية:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ(28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ(29) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ(30)﴾ [الحجر: 28-30].

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ(71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ(72) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ(73)﴾ [ص:71-73].

وبعد التأمل في الآيات السابقة نجد ما يلي:

1_ قد ورد الأمر بالسجود في الأمر التعليقي بلفظ الوقوع قبل السجود ﴿**فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾؛ لأنه يحتاج إلى تأكيد، لارتباط تنفيذه بحصول المعلق عليه، فهو ليس فوريا. وزيد لفظ الوقوع تأكيدا للسجود[8]، وقبله فاء الجزاء للتعقيب، أي أنَّ الله تعالى أمرهم بالمبادرة إلى السجود على وجه السرعة ليكونوا في ذلك كمن وقع بغير إرادة له. وفي الدلالة بلفظ الوقوع على سرعة الاستجابة للأمر: تشنيع على موقف إبليس اللعين من هذا السجود[9].

في حين أنه قد ورد الأمر بالسجود بنصه ﴿**اسْجُدُوا**﴾ في الأمر التنجيزي؛ لأنه لا يحتاج إلى تأكيد، وهو فوري[10].

2_ أكدت استجابة الملائكة للأمر بالسجود بمؤكدين: ﴿**كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ**﴾ في الأمر التعليقي.

---

[8] وذلك لأنَّ مادة الخلق قد ذكرت قبل الأمر التعليقي، وهذا يستدعي تأكيد الأمر، والاستجابة له، لما يشعره الخلق، ومادته بالتردد في السجود. انظر: المرجع السابق، ص120.

[9] انظر: المرجع نفسه، ص119-120.

[10] انظر: المرجع نفسه، ص119.

﴿**كُلُّهُمْ**﴾: للدلالة على رفع احتمال تخلف بعضهم.

﴿**أَجْمَعُونَ**﴾: رفع احتمال تخلف واحد منهم، أو أفاد استجابة الجميع في وقت واحد[11].

ويقول الكرماني أنه: "لما بالغ في السورتين (الحجر، وص) في الأمر بالسجود، وهو قوله: ﴿**فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾ بالغ في الامتثال فيهما فقال: ﴿**فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ**﴾ لتقع الموافقة بين أولاها وأخراها"[12].

3_ ﴿**فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ**﴾ (مظهر غير مضمر): لكمال العناية بإبراز طاعة الملائكة في الأمر التعليقي نظرا لطبيعته، ولا شك أن التعبير عنهم بالمظهر أوفى في الدلالة على الاستجابة من المضمر، وخصوصا أنه طال الفصل بين التعبير عنهم باسمهم في الأمر التعليقي، وبين امتثال الأمر[13]. بخلاف الأمر التنجيزي حيث قال: ﴿**فَسَجَدُوا**﴾ فعبر عن الملائكة بالضمير بدلا من الاسم الظاهر لقرب التعبير عنهم باسمهم، وبين امتثال الأمر، فحسن الإضمار حينئذ.

دلالات متشابه موقف إبليس من السجود

وردت عدة آيات في قصة آدم عليه السلام حول مسألة موقف إبليس من السجود هي:

﴿... **فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة:34].

﴿... **فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ**﴾ [الأعراف:11].

﴿... **إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ**﴾ [الحجر:31].

﴿... **فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا**﴾ [الإسراء:61].

﴿... **فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ**﴾ [الكهف:50].

﴿... **فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى**﴾ [طه:116].

---

[11] انظر: المرجع السابق، ص120.

[12] محمود بن حمزة الكرماني، **البرهان في توجيه متشابه القرآن**، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1986م)، ص108.

[13] انظر: عبد الجواد طبق، **متشابه النظم القرآني في قصة آدم**، ص121.

﴿... إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [ص:74].

إنَّ إباء سجود إبليس يفهم من الاستثناء ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾، وأما فائدة ما عقب به الاستثناء فهو بيان أنه ليس معذورًا في عدم سجوده، والعبارات المعقب بها الاستثناء يكمل بعضها بعضا في تعليل عدم سجوده، فلا تناقض بينها[14].

وسنقف عند كل موضع ودلالاته كما يلي:

1_ في سورة الإسراء: قال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء:61]، حيث أجمل موقفه بالاستفهام الإنكاري؛ لأنَّ المقام هنا ليس تفصيل موقف إبليس من السجود، وما دار حوله من حوار، بل لبيان مدى حقده، وحسده، وكراهيته لذريته، ولذلك أتبع هذا القول بقوله: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ...﴾ [الإسراء:62][15].

2_ في سورة الكهف قال: ﴿كَانَ مِنَ الجِنِّ﴾، وفي هذا تكريم للملائكة وتشريف لهم، إذ ربما يوهم ترك هذه الجملة احتمال وقوع الفسق من الملائكة، فلو قيل مثلا: "إلا إبليس فسق عن أمر ربه"، دون ذكر "كان من الجنّ"، لأوهم الاستثناء المتصل أنه مع كونه من الملائكة على الإطلاق فسق عن أمر ربه، فرفع هذا الإيهام ببيان أنَّ له حيثية خاصة، وهي جنيته[16]، فقد أُمر بما أُمرت به الملائكة، لكنه فسق عن أمر ربه.

3_ في سورة طه قال: ﴿أَبَى﴾، ومعنى الإباء: الرفض والامتناع عن الطاعة، وقد جاء في سورة طه منزلا منزلة اللازم فلا يحتاج إلى مفعول، ومعناه: فعل الإباء، أو وقع منه الإباء، وهذا يدل على عموم العصيان، وتأصل الإباء في نفسه، فهو مجبول عليه، ولو لم يعص بعدم السجود لعصى بغيره.

واقتصر على ذكر الإباء في سورة طه لمناسبته للسياق، حيث تحدث القرآن الكريم سابقا عن قصة موسى عليه السلام مع فرعون: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾

---

[14] انظر: المرجع السابق، ص122.

[15] انظر: المرجع نفسه، ص136.

[16] انظر: المرجع نفسه، ص130.

[طه:56]، إذ إنَّ الامتناع عن الإيمان مع رؤية الآيات كلها إباء، وليس مجرد امتناع، فما أشبه هذا الموقف بموقف إبليس الذي أبى السجود مع ظهور فضل آدم عليه السلام، فحذف المفعول هنا أبلغ من ذكره، مع ما فيه من مراعاة للفاصلة القرآنية أيضا[17].

ومثله أيضا مجيء لفظة ﴿**أَبَى**﴾ في سورة الحجر، وذلك لأنَّ قصة الحجر قد بنيت على الإباء والرفض أيضا[18]، وبهذا تظهر مناسبة لفظة ﴿**أَبَى**﴾ للسياق القرآني في الموضعين.

4_ في سورة الحجر نلاحظ أنَّ مفعول الإباء قد ذُكر حيث قال: ﴿**أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ**﴾ [الحجر:31]، وهذا راجع لاقتضاء مقام السياق لذلك، ففي سورة الحجر ذُكرت مادة الخلق لكل من آدم عليه السلام وإبليس، وكان اختلاف عنصري مادة الخلق بينهما سببًا في عدم السجود، ولذلك كان ذكر المفعول هنا مناسبًا، فهو أبى أن يسجد لآدم عليه السلام كما سجدت الملائكة، وعلَّته في كبريائه هذا هو خلق آدم من تراب، بخلاف ما في طه حيث لم يتعرض السياق السابق لذكر مادة الخلق، ولذلك اقتصر على ذكر الإباء، مع ما يتبع ذلك من مراعاة الفاصلة في كل من السورتين[19].

5_ في سورة ص قال: ﴿**اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾ [ص:74]، فوصف إبليس بالاستكبار قد ناسب ما جاء في مستهل السورة الكريمة من بيانٍ لموقف الكفار، وهو أنهم في عزة وشقاق ﴿**بَلِ الذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ**﴾ [ص:2]، فهؤلاء الكفار هم من سلالته، وأتباعه في الكفر، والاستكبار، ثم ألحق به الوصف بالكفر لأنه سببه[20]، وفي قوله: ﴿**استكبر**﴾ بيان لكيفية امتناعه عن السجود[21].

---

[17] انظر: المرجع السابق، ص132.

[18] انظر: فاضل صالح السامرائي، **التعبير القرآني** (بغداد: دار الفجر، ط1، 2008م)، ص352.

[19] انظر: عبد الجواد طبق، **متشابه النظم القرآني في قصة آدم**، ص134.

[20] انظر: المرجع نفسه، ص132-134.

[21] انظر: محي الدين درويش، **إعراب القرآن وبيانه** (حمص: دار الإرشاد للشؤون الجامعية، ط4، 1415هـ)، ج8، ص382.

6_ في سورة البقرة قال: ﴿**أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة:34]، حيث وصفه بالكفر، والإباء، والاستكبار، في حين أنه قد انفرد الإباء في سورة طه، والاستكبار في سورة ص، وهي حلقات يكمل بعضها بعضا، ولا تناقض بينها، فالاستكبار سبب في الإباء، والإباء سبب في الكفر، وإنما قدم الإباء (المسبَّب) على الاستكبار (السبب) لظهوره بخلاف الاستكبار، أو ليدل منذ البداية على موقفه المقابل لموقف الملائكة[22].

وأما انفراد أحدهما بالذكر دون الآخر، فذلك راجع إلى أنه أحيانا يقتصر على ذكر السبب في عدم السجود، وهو الاستكبار كما في سورة ص، وأحيانا يقتصر على ذكر المسبب وهو الإباء كما في سورة طه، وأحيانا يجمع بين السب والمسبَّب كما في سورة البقرة[23].

والغاية من هذا الجمع كما يقول السامرائي بأنه: "قد جمع لإبليس الإباء، والاستكبار، والكفر للدلالة على شناعة معصيته بحق آدم الذي أكرمه الله وعلمه"[24].

وذلك راجع إلى اقتضاء السياق السابق ذلك، حيث انفردت البقرة ببيان فضل آدم عليه السلام على الملائكة، فلما ظهر فضله عليهم، وعلى إبليس، كان مقتضى السياق أن يظهر موقفه المعارض للأمر بالسجود بالإباء والاستكبار، حيث اعتبر نفسه كبيرا كبرا يفوق كبر آدم بالعلم، لأنه تكبر بالعنصر الذي خلق منه، ولما كان المقام مقام إظهار فضل آدم عليه السلام اقتضى ذلك إظهار علو إبليس، وتكبره بصفة مفصلة، لا مجرد إباء للسجود فقط[25].

ولا تخفى دلالة صيغة "استفعل" على طلب التكبر الذي ليس أهلا له، حيث

---

[22] انظر: عبد الجواد طبق، **متشابه النظم القرآني في قصة آدم**، ص131.

[23] انظر: المرجع نفسه، ص131.

[24] فاضل السامرائي، **التعبير القرآني**، ص334.

[25] انظر: عبد الجواد طبق، **متشابه النظم القرآني في قصة آدم**، ص133.

عد نفسه كبيرا، وإن لم يكن كذلك، ولذلك كان إظهار التكبر مع الإباء في مقابلة ظهور فضل آدم عليه السلام أليق بالمقام، مع ما يضاف إلى ذلك من أنَّ سورة البقرة آخر سور قصة آدم عليه السلام نزولا، ولذلك ناسب أن يجمع فيها ما تفرق في بعض المواقع، وكأنَّ في ذلك تلخيصا لما فصل في السور الأخرى حول موقفه من السجود[26].

7_ يبقى أن نقارن بين ما ورد في سورة الأعراف والحجر من تشابه حول الدلالة على عدم السجود[27]، وذلك كما يلي:

_ قال في سورة الأعراف: ﴿**لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ**﴾ [الأعراف:11]، وبالرجوع إلى السياق نجد أنه قد اقتصر في الأعراف على خلق الإنسان دون ذكر مادته، ودون التعرض في المقابل لذكر خلق إبليس، والمادة التي خلق منها، ثم كان الأمر بعد ذلك للملائكة بالسجود لآدم، واستثناء إبليس منهم، وهذا يشعر بأنه منهم[28]، ولذلك كان من المناسب أن يقال: ﴿**مِّنَ السَّاجِدِينَ**﴾.

_ وأما في سورة الحجر فقال: ﴿**أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ**﴾؛ لأنه قد ذكرت مادة خلق الإنسان، ومادة خلق الجان[29]، ومعروف أنَّ إبليس من الجان، بل هو أبوهم، وأنَّ الملائكة مخلوقون من نور، وهذا يدل على أنه ليس منهم في مادة الخلق، ولذلك كان من المناسب أن يقال "معهم" دون "منهم"، فروعي اعتبار إبليس من الملائكة في سورة الأعراف، وروعي اعتبار أنه من الجن في سورة الحجر[30].

دلالات متشابه الحوار حول موقف إبليس الرافض للسجود

---

[26] انظر: المرجع السابق، ص133.

[27] قد ورد كل منهما على سبيل الكون المنفي، وهو أبلغ في النكير، والتوبيخ من النفي العادي، انظر: المرجع نفسه، ص136.

[28] فإبليس من الملائكة باعتبار أنه مخلوق من نار، فهي تشتمل على النور، مع ما غلب عليه من العبادة، وهو من الجن باعتبار ما في النار من الإحراق. انظر: عبد الجواد طبق، **متشابه النظم القرآني في قصة آدم**، ص127.

[29] انظر: سورة الحجر: [26_27].

[30] انظر: عبد الجواد طبق، **متشابه النظم القرآني في قصة آدم**، مرجع سابق، ص135.

وردت عدة آيات في قصة آدم عليه السلام حول الحوار حول موقف إبليس الرافض للسجود هي:

﴿**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (12)**﴾ [الأعراف:12].

﴿**قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (32)**﴾ [الحجر:32].

﴿**قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (75)**﴾ [ص:75].

مما تضمنه هذا الحوار بين الله جلاله، وبين الشيطان الرجيم، مساءلة إبليس عن سبب رفضه للسجود، رغم أنَّ الآمر به هو الله جلاله، ومن المعلوم أنَّ سؤال الله تعالى لإبليس عن عدم السجود ليس لمعرفة السبب الحقيقي، وإنما المراد إظهار سوء طويته، وخبث نيته أمام البشر ليحذروا مكائده ووساوسه[31].

ويمكن ملاحظة أنَّ هذا الحوار لم يرد في كل من سورة البقرة، والكهف، وطه، وذلك راجع إلى عدم التعرض لمادة خلق كل من آدم عليه السلام وإبليس اللعين في تلك السور[32]، فلما كان سبب الامتناع عن السجود من وجهة نظر اللعين هو مادة الخلق، ناسب ذلك عدم إيراد الحوار القائم على هذه المادة[33].

1_ في سورة الأعراف: حذف النداء ﴿**يَا إِبْلِيسُ**﴾، وذكره في كل من سورة الحجر، وسورة ص، وذلك يعود لقرب ذكر المنادى في سورة الأعراف دونهما، فقد قرب خطابه من ذكره فيها في قوله سبحانه: ﴿**إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ قَالَ مَا مَنَعَكَ**﴾ فحسن حذف النداء والمنادى، ولم يقرب في سورة ص، وسورة الحجر قربه منه[34].

---

[31] انظر: المرجع السابق، ص137.

[32] انظر: [البقرة:34]، [الكهف:50]، [طه:116].

[33] انظر: عبد الجواد طبق، **متشابه النظم القرآني في قصة آدم**، مرجع سابق، ص138.

[34] انظر: المرجع نفسه، ص143.

وقد ورد النكير عليه بـ ﴿**مَا مَنَعَكَ**﴾ دون ذكر اسمه؛ لأنه روعي كونه من الملائكة، بدليل قوله: ﴿**مِنَ السَّاجِدِينَ**﴾، وقوله: ﴿**إِذْ أَمَرْتُكَ**﴾، وكذلك عدم ذكر مادة الخلق[35].

وباعتبار أنه من الملائكة في الأعراف كانت أيضًا شدة النكير على إبليس اللعين بذكر "لا" المقتضية تأكيد نفي السجود، أي ما منعك من أن تحقق السجود وتلزمه نفسك[36].

ويجوز أن يكون التعبير هنا من قبيل التضمين البياني، فيضمن المنع معنى الحمل أو الدفع؛ لأنَّ المنع من الشيء فيه حمل أو دفع إلى ضده، فيكون التقدير: ما منعك من السجود حاملًا أو دافعًا لك إلى عدم السجود، ونظيره قوله ﷻ: ﴿**قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا(92) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي**﴾ [طه:92-93]، أي ما منعك من اللحاق بي إذ رأيتهم ضلوا مضطرًّا أو محمولًا أو مدفوعًا إلى ألا تتبعني[37].

وأما بخصوص زيادة "لا" فيقول الرازي: "في تأويل الآية وجهان:

الأول: أن يكون التقدير: أيُّ شيء منعك عن ترك السجود؟ ويكون هذا الاستفهام على سبيل الاستنكار، ومعناه ما منعك عن ترك السجود؟!

الثاني: ذكر الله المنع وأراد الداعي، فكأنه قال: ما دعاك إلى أن لا تسجد؛ لأنَّ مخالفة أمر الله تعالى حالة عظيمة يتعجب منها ويسأل عن الداعي إليها"[38].

وأمَّا جواب إبليس اللعين عن سؤال الله له: ﴿**مَا مَنَعَكَ**﴾ فكان قوله على سبيل الاستئناف البياني المفصول عما قبله ﴿**أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ**﴾، فكانت المطابقة بين السؤال والجواب على طريق اللزوم؛ لأنه يلزم من كونه خيرا منه امتناعه عن السجود، فلا

---

[35] انظر: المرجع السابق، ص139-140.

[36] انظر: المرجع نفسه، ص140.

[37] انظر: المرجع نفسه، ص141.

[38] فخر الدين محمد بن عمر الرازي، **مفاتيح الغيب** (بيروت: دار الفكر، ط5، 2005م)، ج14، ص 28.

يحسن أن يسجد لمن دونه، ولا يحسن أن يؤمر به أصلًا، كما أشار إلى ذلك بقوله: ﴿**لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ**﴾.

ومن الجدير بالذكر أنَّ احتجاج اللعين لعدم السجود في الأعراف كان بذكر مادة الخلق له ولآدم، وذلك يرجع إلى عدم ذكر هذه المادة قبل الأمر بالسجود[39].

يقول ابن الزبير الغرناطي ملخصًا ما سبق: "إنه لما تقدَّم في الأعراف ذكر خلق الإنسان وتصويره من غير ذكر المادة التي خلق منها... ولم يُذكر خلق غيره من ملَك أو جنّ، ثم إنَّ الأمر بالسجود ورد للملائكة، ولم يرد إشعار بأن إبليس من غيرهم، فسبق من ظاهر الكلام أنه منهم مأمور معهم لاستثنائه منهم، فناسب هذا قوله: ﴿**مَا مَنَعَكَ**﴾ لأنه مأمور بظاهر ما تقدم، وناسب ذلك أيضا وعضد ما قلناه قوله: ﴿**إِذْ أَمَرْتُكَ**﴾، ولما لم يقع ذكر لخلق غير الآدميين ولا ذكرت مادة خلق الإنسان ناسب ذلك ما ذكره سبحانه عن إبليس من قوله: ﴿**أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ**﴾ [الأعراف:12]، فاستوفى ذكر المادتين"[40].

2_ في سورة الحجر: جاء النداء باسمه: ﴿**يَا إِبْلِيسُ**﴾ مصاحبًا للنكير؛ لأنَّه روعي كونه ليس من الملائكة، فهو من الجان، بدليل قوله: ﴿**مَعَ السَّاجِدِينَ**﴾[41].

وقوله: ﴿**مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ**﴾ [الحجر:32]، أبلغ من ما لك ألا تسجد، لاشتماله على فعل الكينونة، وهذا النكير الزائد في مقابلة التوكيد السابق في سجود الملائكة ﴿**فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ**﴾ [الحجر:30][42].

---

[39] انظر: عبد الجواد طبق، **متشابه النظم القرآني في قصة آدم**، مرجع سابق، ص144.

[40] أحمد ابن الزبير الغرناطي، **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل**، تحقيق: سعيد الفلاح، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 2007م)، ج1، ص487-488.

[41] انظر: عبد الجواد طبق، **متشابه النظم القرآني في قصة آدم**، ص140.

[42] انظر: المرجع نفسه، ص142.

ومن التطابق البديع بين السؤال والجواب لفظًا في سورة الحجر، أنه لما كان السؤال مشتملًا على فعل الكينونة: ﴿**مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ**﴾، كان الجواب مشتملًا عليه أيضًا: ﴿**لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ**﴾ [الحجر:33].

وقد اقتصر على ذكر مادة خلق آدم عليه السلام في الاحتجاج، لتقدم ذكر مادة خلقه في السياق السابق قبل ذلك: ﴿**وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ**﴾ [الحجر:27]، فتحوشي تكرار ذكر المادة مرة ثانية لكل منهما في الاحتجاج، كما أنَّ في ذكر إحداهما إشارة إلى الأخرى بالمقارنة[43].

3_ في سورة ص: اكتفى بذكر مادة خلق الإنسان قبل الأمر بالسجود: ﴿**إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ**﴾ [ص:71]، ثم ذكر المادتين معا في احتجاج إبليس لعدم السجود، وذلك لتقدم ذكر ﴿**لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ [ص:75] في هذه السورة الذي اقتضى ذكر مادة الخلق لكل منهما في الاحتجاج[44].

وبهذا يظهر التكامل والتناسق بين المذكور والمحذوف في هذا المتشابه في كل من السور الثلاث: الأعراف، والحجر، وص، واختلاف العبارات عند الحكاية يدل على أنَّ اللعين قد أدمج في معصية واحدة ثلاث معاص: مخالفة الأمر في سورة الأعراف: ﴿**إِذْ أَمَرْتُكَ**﴾، ومفارقة الجماعة في سورة الحجر: ﴿**يَا إِبْلِيسُ مَالَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ**﴾، والاستكبار مع تحقير آدم عليه السلام في سورة ص: ﴿**لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾، وقد وبخ على كل واحدة منها، واقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه مناسبة لسياق كل موقع[45].

---

[43] انظر: المرجع السابق، ص144.

[44] انظر: المرجع نفسه، ص144.

[45] انظر: المرجع نفسه، ص145.

وقد حاول أحد العلماء أن يعطي ترتيبًا لأسئلة هذا الحوار، حين قال: "وأمَّا قوله تعالى: ﴿**مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ فهو مطالبة إبليس ببيان المانع الذي منعه إن كان هناك مانع، فلما لم يجد المانع طولب بأن يبيّن الدافع الذي تولد في نفسه وحمله على ألا يسجد، ثم لما اضطرب وتلجلج في الكشف عن هذا الذي ضل عنه، وهو يحاول الإمساك به قيل له ما لك – إذن – ألا تكون من الساجدين"[46].

دلالات متشابه الحوار حول عاقبة الامتناع عن السجود

نجد في هذا الحوار بعض اختلاف في طريقة التعبير عن عاقبة الامتناع عن السجود حسبما يقتضيه المقام، وكذلك ما جاء في الاستنظار والإنظار، وقسم اللعين على الإغواء، وما توعده الله به هو وأتباعه[47].

وسنتناول الآيات المتشابهة حول عاقبة امتناع إبليس عن السجود على مراحل لكثرتها، من أجل الوقوف على دلالات كل متشابه بالتفصيل، وبيان ذلك كالآتي:

أولًا: إحلال اللعنة[48] على إبليس:

﴿**اللَّعْنَةُ**﴾ **في سورة الحجر:** ﴿**وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (35)**﴾ [الحجر:35].

﴿**لَعْنَتِي**﴾ **في سورة ص:** ﴿**وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (78)**﴾ [ص:78].

وذلك يرجع لمناسبة سياق الحديث في كل منهما، حيث سبق في سورة ص الحديث بضمير المتكلم ﴿**لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ دون الحجر، وهذه المناسبة اللفظية لا تنفي اتفاق

---

[46] انظر: الشريف دريدح، **المتشابه اللفظي ودلالته في القصص القرآني**، ص104، وقد وقف على هذا القول عند عبد الكريم الخطيب، ولم نجده.

[47] انظر: عبد الجواد طبق، **متشابه النظم القرآني في قصة آدم**، ص149.

[48] "اللعنة من الله: هي إبعاد العبد بسخطه، ومن الإنسان: الدعاء بسخطه"، علي بن محمد الجرجاني، **التعريفات**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1405هـ)، ص247.

التعبيرين في الهدف، ذلك أن إيراد اللعنة معرفة بلام الجنس في سورة الحجر[49] يقتضي أنَّ عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ثم إيرادها مضافة إلى الله سبحانه في سورة ص يقتضي أنه ملعون من الملائكة والناس أجمعين أيضا، فالملعون من لعنه الله. كما أنَّ إضافة اللعنة إلى ضميره سبحانه فيها من التهديد والوعيد ما يناسب التصريح بخيرته في سورة ص[50].

يقول فاضل السامرائي: "أضاف اللعنة إلى نفسه، لأنه أضاف الخلق إلى ذاته ﴿**لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾، ثم إنه في قصة ص ذكر نفسه أكثر مما في الحجر، فإنه ذكر نفسه ست مرات، وفي الحجر ثلاث مرات. واللعنة في سورة الحجر اسم جنس، بمثل ما ابتدئت بمثله القصة، ولأنه لم يضف الخلق إلى ذاته كما في سورة ص"[51].

وأما صاحب الإعجاز البلاغي لتحولات النظم القرآني فيقول: "في سورة الحجر لم يكن تفضيل إبليس صريحا، وإنما كان ضمنا، في حين نرى تفضيله صريحا في ص، قال تعالى في سورة الحجر: ﴿**قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ**﴾ وقال في سورة ص: ﴿**قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ**﴾، إذن جاءت لفظة (اللعنة) في سورة الحجر مناسبة مع الجدال الهادئ، ورفض السجود؛ لأنها عامة من الله تعالى، ومن المخلوقات، وأما في سورة ص فجاءت لفظة (لعنتي) لتدل على خصوصية هذه اللعنة، وأنها من الله لتكون عظيمة، ودائمة، فجاءت كل لفظة في مكانها المناسب "[52].

---

[49] والكلام فيها جرى على الجنس من أول القصة: الإنسان، الجان، الملائكة، انظر، الآيات [الحجر: 26- 27- 30]. انظر، محمود بن حمزة الكرماني، **البرهان في متشابه القرآن**، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1986م)، ص215.

[50] انظر: عبد الجواد طبق، **متشابه النظم القرآني في قصة آدم**، ص154.

[51] فاضل السامرائي، **التعبير القرآني**، ص356.

[52] أحمد محمد أمين إسماعيل، **الإعجاز البلاغي لتحولات النظم القرآنيفي المتشابه من الألفاظ والتراكيب** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2011م)، ص234.

ثانيًا: الاستنظار والإنظار:

﴿**قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(14) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ**﴾ [الأعراف:14-15].

﴿**قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(79) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ(80) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ**﴾ [ص:79-80].

﴿**قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(36) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ(37) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ**﴾ [الحجر:36-37-38].

نلاحظ عدة اختلافات في الآيات الكريمة، نجملها فيما يلي:

1_ حذف جملة الميقات: فلم ترد جملة ﴿**إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ**﴾ في سورة الأعراف؛ لأنَّ مبنى السورة على الإنذار، والتخويف، ولا شك أنَّ عدم ذكر أجل الإنظار _لتذهب النفس فيه كل مذهب_ يلائم أكثر مقام الإنذار، والتخويف، حيث قال الله جلّ جلاله في بداية السورة: ﴿**كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأعراف:2][53].

وزيدت جملة ﴿**إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ**﴾ في السورتين دون الأعراف، وذلك راجع إلى الإطناب فيهما، في مقابل الإيجاز في سورة الأعراف، حيث لم تتعرض للحديث المفصل عن مادة الخلق لكل من آدم عليه السلام، وإبليس اللعين قبل الأمر بالسجود، بخلاف الحال في السورتين، وذلك لانصراف الغرض إلى الامتنان بالنعمة، والتحذير من عداوة الشيطان[54].

2_ زيادة لفظ "رب" في النداء: حيث زيد في كل من سورة الحجر، وسورة ص النداء بلفظ ﴿**رَبِّ**﴾، وهذا من أجل سبق نداء الحق له بقوله ﴿**يَا إِبْلِيسُ**﴾ في

---

[53] انظر: عبد الجواد طبق، **متشابه النظم القرآني في قصة آدم**، ص154-155.

[54] انظر: المرجع نفسه، ص156-157.

السورتين[55].

وكذلك استدعى التصريح بالرجم، واللعنة في السورتين دون الأعراف، استعطاف اللعين للإجابة إلى مطلوبه، فذكر الرب في الموقعين. وترك نداء إبليس لربه بقوله: ﴿**رَبِّ**﴾ في سورة الأعراف يرجع إلى أنه لم يصرح فيها بلعن إبليس ورجمه، وكذلك لما ترك نداء اللعين في الحوار حول عدم السجود، ترك نداؤه في الاستنظار[56].

وقد يقال إنه بلغ به العناد، والاستكبار إلى أن يسأل ربه دون أن يقول: "رب"، وهذا ما يكشف عن مدى جرأة إبليس، ووقاحته أمام خالقه جلّ جلاله، فلما بدا غضب الله، وسخطه عندما لم يناده باسمه في آية الأعراف، كان عليه أن يتراجع، وأن يبدي ذل العبودية التي إن لم يخضع لها اختيارا خضع لها اضطرارا[57].

3_ زيادة الفاء وحذفها: حيث نلاحظ أنَّ الفاء قد سقطت في الاستنظار، والإنظار في الأعراف، وذلك راجع إلى الإيجاز فيها كما سبق بيانه. فلما ترك النداء تركت الفاء، وسقوطها من الإنظار فيه إشارة إلى أنَّ هذه الجملة إجابة لطلبه، وليست استجابة، أي أنه أجيب إلى طلبه، لكن ليس على الوجه الذي أراده، ولذلك لم يكن الربط بين الإنظار، والاستنظار قويا حتى يستدعي الفاء.

وفي المقابل نجدها قد ثبتت مع النداء في الاستنظار، والإنظار في سورتي الحجر، وص، لترتيب الاستنظار على ما قبله، وهو رجم إبليس ولعنه، أي إذ جعلتني مرجوما ملعونا إلى يوم الدين فأنظرني، فقال الله: إذا طلبت تأخير الأجل فإنك مؤخر فيه، لكن ليس على الوجه الذي طلبت، فأتت الفاء في الإنظار لترتبه على الاستنظار[58].

ويقول الكرماني: "في الأعراف قوله: ﴿**أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾، وفي الحجر وص:

---

[55] انظر: المرجع السابق، ص159.

[56] انظر: المرجع نفسه، ص159.

[57] انظر، الشريف دريدح، **المتشابه اللفظي ودلالته في القصص القرآني**، ص111-112.

[58] انظر: عبد الجواد طبق، **متشابه النظم القرآني في قصة آدم**، ص160.

﴿**رَبِّ فَأَنظِرْنِي**﴾؛ لأنه سبحانه لما اقتصر في السؤال على الخطاب دون صريح الاسم في هذه السورة، اقتصر في الجواب أيضا على الخطاب دون ذكر المنادي، وأما زيادة الفاء في السورتين دون هذه السورة؛ فلأن داعية الفاء تضمنه النداء من أدعو أو أنادي نحو: ﴿**رَبَّنَا فَآتِنَا**﴾ [آل عمران:193]، وكذلك داعية الواو في قوله: ﴿**رَبَّنَا وَآتِنَا**﴾ [آل عمران:194]، فحذف المنادى في هذه السورة، فلما حذفه انحذفت الفاء"[59].

ثالثًا: التعهد بالإغواء:

﴿**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ [الأعراف:16].

﴿**قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [الحجر:39].

﴿**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [ص:82].

1_ في سورة ص أقسم بعزته، وذلك لما تقدم فيها من ذكر اسمه العزيز، ﴿**الْعَزِيزِ الوَهَّابِ**﴾، ﴿**الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ**﴾، وقد بدئت السورة بالعزة أيضا: ﴿**بَلِ الذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ**﴾ [ص:2]، فناسب أن يقسم بعزته.

2_ في سورة الحجر أقسم بإغوائه لما تردد من ذكر الإغواء، مناسبة بين غوايته، وإغواء بني آدم حيث قال: ﴿**وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾.

فناسب أن يضع كل تعبير في مقامه الذي هو أنسب له[60].

3_ ذكر التزيين في سورة الحجر، حيث قال: ﴿**لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [الحجر:39]، ولم يذكره في سورة ص، حين قال: ﴿**لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [ص:82]، وذلك لما ورد من ذكرٍ للزينة في سورة الحجر، ومنه قوله جلّ جلاله: ﴿**وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ**﴾ [الحجر:16]، فناسب ذلك ذكر التزيين

---

[59] الكرماني، **البرهان في توجيه متشابه القرآن**، ص 72.

[60] انظر: فاضل السامرائي، **التعبير القرآني**، ص357.

في سورة الحجر دون سورة ص[61].

وقد ذكر عبد الجواد طبق حِكما أخرى لزيادة لفظ التزيين حين قال: "وإنما زيد في سورة الحجر التزيين على الغواية دون سورة ص، لمناسبة مقام تفصيل موقف الكفار السابق في الحجر، ولورود لفظ التزيين قبل القصة، ولتفصيل الحديث عن بعض مظاهر قدرة الله في نعمه على عباده في الأرض، والتي يتخذها الشيطان سبيلا إلى تزيينه وإضلاله"[62].

رابعًا: اتّبَاعُ إبليس:

﴿**قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [الأعراف:18].

﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾ [الحجر:42].

﴿**قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا**﴾ [الإسراء:63].

﴿**لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [ص:85].

جاءت لفظة (الاتباع) بالتشديد في سورة الحجر ﴿**إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾، في حين نجدها قد وردت بالتخفيف في كل من سورة الأعراف ﴿**لَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ**﴾، وفي سورة الإسراء ﴿**فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ**﴾، وفي سورة ص ﴿**وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ**﴾، وهذا يرجع لسبق الحديث عن أصحاب الفطر السليمة، وهم عباد الله المخلصين، فكان من المناسب أن يتحدث عن الفريق المقابل بلفظ (اتبع) الذي يوحي بالتكلف في الخروج عن الأصل الذي جبل عليه العباد المخلصون[63].

---

[61] انظر: المرجع السابق، ص357.

[62] عبد الجواد طبق، **متشابه النظم القرآني في قصة آدم**، ص167.

[63] انظر: عبد الجواد طبق، **متشابه النظم القرآني في قصة آدم**، ص174-175.

وقد ذكر السامرائي حِكمًا وأسرارًا أخرى حين قال: "إنه لما جاء بعد القصة في الحجر قوله جلّ جلاله: ﴿**نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الحجر:49]، ناسب ذلك أن يخفف على عباده، ويرحمهم بأن لا يدخل النار إلا من بالغ في اتباع إبليس... ومن ناحية أخرى فقصة آدم في الحجر وردت بعد ذكر نعم الله على البشر[64]... فناسب السياق التخفيف على عباده والتفضل عليهم"[65].

في حين وردت قصة آدم عليه السلام في سورة ص، وفي سورة الأعراف بعد ذكر عقوبات أهل النار في النار، فلهذا كان التحذير أشد، بذكر الاتباع مخففا. وهذا التعبير مشابه لما ذكر في سورة البقرة، وسورة طه: ﴿**فَمَن تَبِعَ هُدَايَ**﴾، ﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ**﴾، غير أنَّ الأول في التحذير والترهيب، والثاني في الإطماع والترغيب، فجمع الترغيب والترهيب في هذه القصة على أتم وجه، وأكمل صورة[66].

دلالات متشابه سكنى آدم الجنة وخروجه منها

أولًا: سكنى آدم الجنة:

﴿**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [البقرة:35]

﴿**وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأعراف:19]

1_ زيادة "قلنا" قبل النداء: وردت لفظة "قلنا" في سورة البقرة: ﴿**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ**﴾، في حين أنها لم ترد في سورة الأعراف: ﴿**وَيَا آدَمُ اسْكُنْ**﴾، وهذا مناسبة لمقام التكريم الذي اختص به موضع سورة البقرة، ومراعاة لسياق الآيات قبلها في

---

[64] انظر: الآيات القرآنية [الحجر: 19-22]

[65] فاضل السامرائي، **التعبير القرآني**، ص358.

[66] انظر: المرجع نفسه، ص358.

التفضل على آدم عليه السلام ، حيث يقول الصامل: "ففي السياق جاء نداء آدم عليه السلام مسبوقا بإسناد القول إلى الله سبحانه، وهذا فيه تكريم لآدم عليه السلام، موافق لموضوع الآيات كلها"[67].

2_ دلالة الفعل: "اسكن" مع اختلاف حرف العطف: في سورة البقرة: ﴿**اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا**﴾، وفي سورة الأعراف: ﴿**اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا**﴾. وقد ذكر أهل العلم أنَّ السكنى في آية البقرة بمعنى الإقامة، وأما السكنى في آية الأعراف فمعناها الدخول[68].

يقول عبد الجواد طبق: "إنَّ الأمر بالسكنى في سورة البقرة لوحظ فيه الاستمرار، واللبث، والدوام، والأكل غير متوقف على ذلك؛ لأنَّ المجتاز قد يأكل أيضا، فلم يكن عطف الأكل على السكنى من عطف المسبب على السبب، وهذا على حد قوله جلاله: ﴿**وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا...**﴾ [الأعراف:161]، فهو من السكنى التي معناها الإقامة، وأما في الأعراف فلم يلاحظ هذا المعنى مع الأمر بدخول الجنة، فتوقف الأكل على الدخول توقف المسبب على السبب، لذلك كان العطف بالفاء، وهذا على حد قوله جلاله: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا...**﴾ [البقرة:58]، وهو من السكنى التي معناها اتخاذ الموضع مسكنا. ويناسب هذه التفرقة بين الأمرين زيادة (رغدا) في الأول دون الثاني"[69].

وقريب منه ما قاله الكرماني في توجيه آية البقرة: "وإنما الذي في سورة البقرة سكون بمعنى الإقامة، فلم يصح إلا بالواو، لأن المعنى اجمعا بين الإقامة فيها، والأكل من

---

[67] محمد بن علي الصامل، **من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم**، (السعودية: دار إشبيليا، ط1، 2001م)، ص151.

[68] انظر: المرجع نفسه، ص148.

[69] عبد الجواد طبق، **متشابه النظم القرآني في قصة آدم**، ص181.

ثمارها، ولو كان الفاء مكان الواو لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة؛ لأن الفاء للتعقيب والترتيب"[70].

وأما عن آية الأعراف فيقول: "وكان الفاء أولى لأنَّ اتخاذ المسكن لا يستدعي زمانا ممتدا، ولا يمكن الجمع بين الاتخاذ والأكل فيه، بل يقع الأكل عقيبه"[71]. والهدف هو تحقيق الأمن من كل أنواع الخوف. فلم يرد هذا الجزء من القصة إلا في سور البقرة، والأعراف، وطه؛ لأنها السور التي تحدثت عن توبة آدم صراحة أو ضمنا، ولا يخفى ارتباط الحديث عن التوبة بالحديث عن سكن آدم في الجنة، ووسوسة الشيطان له، وما تبع ذلك[72].

3_ زيادة رغدًا وحذفها: يقول أبو حيان في معنى ﴿**رَغَدًا**﴾: "يقال رغد عيش القوم، ورغد بكسر الغين وضمها، إذا كانوا في رزق واسع كثير، وأرغد القوم أخصبوا، وصاروا في رغد من العيش"[73].

وقد جاءت لفظة ﴿**رَغَدًا**﴾ في سورة البقرة: ﴿**وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا**﴾، في حين أنها لم ترد في سورة الأعراف: ﴿**فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا**﴾، فاستغنى عن ﴿**رَغَدًا**﴾ في سورة الأعراف لدلالة ﴿**مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا**﴾ عليه، فالتوسعة هنا في الأكل من أي مكان مفهومة من قوله: ﴿**حَيْثُ شِئْتُمَا**﴾، والتوسعة في المأكول مفهومة من زيادة ﴿**مِنْ**﴾ فيها، وفي سورة البقرة أفيد التوسعة في المكان من قوله: ﴿**حَيْثُ شِئْتُمَا**﴾، وفي المأكول من قوله ﴿**رَغَدًا**﴾[74].

---

[70] الكرماني، **البرهان في توجيه متشابه القرآن**، ص26.

[71] المرجع نفسه، ص26.

[72] انظر: عبد الجواد طبق، **متشابه النظم القرآني في قصة آدم**، ص177.

[73] أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، **البحر المحيط**، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي المعوض، وآخرون (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2001م)، ج1، ص309.

[74] انظر: عبد الجواد طبق، **متشابه النظم القرآني في قصة آدم**، ص182.

وذهب الكرماني إلى أنه زاد ﴿**رَغَدًا**﴾ في سورة البقرة لما زاد في الخبر تعظيما بقوله: ﴿**وَقُلْنَا**﴾، بخلاف ما في سورة الأعراف[75].

وأما الصامل فيقول: "إنَّ سياق آية البقرة كان في الحديث عما منّ الله به على آدم وفضّله، فورود كلمة الرغد في هذا السياق يضيف إلى فضل آدم عليه السلام تميزا، فتكون هذه نعمة أخرى تضاف إلى تلك النعم"[76].

ويقول فاضل السامرائي بخصوص إعادة ذكر ضمير الجنة ﴿**مِنْهَا**﴾ في سورة البقرة دون سورة الأعراف: "... فأنت ترى أنه ذكر الجنة وضميرها في البقرة، وهو المناسب لمقام التكريم فيها، ولم يفعل مثل ذلك في الأعراف"[77].

4_ زيادة ﴿مِنْ﴾، وحذفها في: ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾: يقول ابن الزبير الغرناطي: "ليس موقع ﴿**حَيْثُ شِئْتُمَا**﴾ موقع ﴿**مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا**﴾؛ لأنَّ ﴿**مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا**﴾ يحرز ويعطي إباحة الأكل من ثمر كل موضع فيها، أما "حيث" إذا لم يكن معها "من" فإنها تعطي بأظهر الاحتمالين إباحة الأكل في كل موضع لا من ثمر كل موضع"[78].

ومن أوجه الاختلاف بين التعبيرين ما قاله السامرائي: "الظرف ﴿**حيث شئتما**﴾ في البقرة يحتمل أن يكون للسكن والأكل جميعا، والمعنى: اسكنا حيث شئتما، وكلا حيث شئتما... أما التعبير في الأعراف فلا يحتمل إلا أن يكون للأكل (فكلا من حيث شئتما)، ولا يصح تعليقه بالسكن، فلا يصح أن يقال: (اسكنا من حيث

---

[75] انظر: الكرماني، **البرهان في توجيه متشابه القرآن**، ص27.

[76] محمد الصامل، **من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم**، ص145.

[77] فاضل السامرائي، **التعبير القرآني**، ص291.

[78] أحمد بن الزبير الغرناطي، **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل**، تحقيق: سعيد الفلاح، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 2007م)، ج1، ص 189.

شئتما)، فالمشيئة والتخيير في البقرة أوسع لأنها تشمل السكن والأكل بخلاف سورة الأعراف، وهو المناسب لمقام التكريم في سورة البقرة كما هو ظاهر"[79].

ثانيًا: خروج آدم من الجنة وما تعلق به:

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ(36) فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:36-37].

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ(20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ(21) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ(22) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف:20-23].

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى(120) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى(121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه:120-122].

يدور هذا الجزء من الآيات حول مكيدة الشيطان لآدم عليه السلام، ولزوجه ليخرجهما من الجنة، وما آل إليه أمر آدم عليه السلام بعد ذلك. ويلاحظ أنه يوجد شيء من التنوع في التعبير في الآيات السابقة، وسنقف عندها كالآتي:

1_ جاء في سورة البقرة قوله جلّ جلاله: **﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾**، وأما في سورة الأعراف فقد قال: **﴿فَدَلَّاهُمَا﴾**، وقد كان هذا لمراعاة المقام في السورتين.

---

[79] فاضل السامرائي، **التعبير القرآني**، ص291.

يقول السامرائي: "والإزلال غير التدلية، فإنَّ الزلة قد تكون في الموضع نفسه، وأما التدلية فلا تكون إلا إلى أسفل، ذلك أنها من التدلية في البئر فإذا دلَّيت أحدا فقد أنزلته إلى أسفل، بخلاف الزلة فقد لا تكون إلى أسفل، ومعنى "دلاهما": أنزلهما من مكان إلى مكان أحط منه، فخفف المعصية في سورة البقرة وسماها زلة مراعاة لمقام التكريم بخلاف سورة الأعراف"[80].

2_ تعدَّت الوسوسة في سورة الأعراف باللام، وفي سورة طه بإلى لاعتبارين مختلفين مقصودين في كل منهما.

ففي سورة طه: ﴿**فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ**﴾ تعدَّت الوسوسة إلى آدم عليه السلام وحده.

وأما في سورة الأعراف: ﴿**فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ**﴾ تعدَّت الوسوسة إليه وزوجه[81].

وفي هذا يقول عبد الجواد طبق: "فعندما عدي الفعل باللام أفاد أنَّ الوسوسة كانت لأجلهما، أي فوسوس لأجلهما، وأما التعدية بإلى في طه فلبيان إنهاء الوسوسة إلى آدم عليه السلام، فأفاد ما في السورتين أنه فعل الوسوسة لأجلهما، وأنهاها إلى آدم عليه السلام، وبهذا كان اختلاف التعدية لأمرين هما: بيان الحامل على الوسوسة، وبيان إيصالها للموسوس إليه، وقد اقتصر على آدم في طه لأنه الأصل"[82].

ويصح أن يقال: "أنَّ التعدية بإلى التي تفيد إنهاء الوسوسة إليه منظور فيها إلى أحد احتمالين: إمَّا أن يكون لبيان سرعة قبول هذا النوع للنقائص، وهذا موافق لمقام سورة طه؛ لأنَّ هذا الموضع هو الوحيد الذي صرح فيه بعصيان آدم عليه السلام وغوايته، وإن كان على وجه النسيان، وإمَّا لأنَّ الوسوسة ما وصلت إليه مباشرة، وإنما كان لزوجه

---

[80] المرجع السابق، ص337.

[81] انظر: عبد الجواد طبق، **متشابه النظم القرآني في قصة آدم**، ص188.

[82] المرجع نفسه، ص189.

مدخل في ذلك، كما أنَّ في التعدية إلى الاثنين معا في سورة الأعراف ما يشعر بعداوته للجنس البشري كله، وهذا يتفق مع مقام القصة والسورة أيضا"[83].

يضاف إلى ذلك توجه الحديث السابق على الوسوسة في سورة طه إلى آدم وحده أصالة كما في قوله جلّ جلاله: ﴿**إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى**﴾ [طه:118]، وأمَّا الحديث السابق في سورة الأعراف فقد جاء بضمير التثنية، ومنه قوله جلّ جلاله: ﴿**فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا**﴾[84].

3_ زيد في سورة الأعراف بعد الوسوسة قوله جلّ جلاله: ﴿**وَقَاسَمَهُمَا**﴾، وكذلك: ﴿**فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ**﴾؛ لأنه صرح بالوسوسة للاثنين معا (آدم عليه السلام، وزوجه) فاحتاج إلى مزيد من المخادعة، والإضلال بالقسم، وأما في سورة طه فكانت الوسوسة موجهة في الظاهر إلى آدم وحده، ولذلك لم يحتج إلى مزيد من المخادعة[85].

4_ التردد في المخادعة بين الملكية والخلود في سورة الأعراف، حيث قال: ﴿... **وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَن هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ**﴾ [الأعراف:20]، والجمع بينهما في سورة طه حين قال: ﴿**قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى**﴾ [طه:120].

وقد حاول عبد الجواد طبق كشف كنه هذا التنوع بقوله: "وكأنَّ اللعين ردد بين الأمرين في المخادعة مرة، وجمع بينهما مرة أخرى إمعانا في الإغواء والإضلال، أو ردد بينهما في مخادعة الاثنين، وجمع في مخادعة الواحد لعدم كفاية أحدهما في الخداع للواحد، بخلاف الملكية للاثنين أو الخلود لهما، فيكفي أحدهما في المخادعة؛ لأنه سيكون للاثنين معا، أي أن الإغراء بالخلود للواحد لا يكون في قوة الإغراء به للاثنين، وكذلك بالملكية.

---

[83] المرجع السابق، ص189-190.

[84] انظر: المرجع نفسه، ص190.

[85] انظر: المرجع نفسه، ص192.

أو أنَّ (أو) في الأعراف للإباحة لا للتخيير، فيجوز الجمع بين الوجهين.
أو أنَّ الترديد في الأعراف للدلالة على احتياط اللعين في الإغراء فيكون أدعى لتصديقه، وفي ذلك مناسبة للمقام"[86].

5_ العطف وتركه: فقد عطف في سورة الأعراف بين الفعل والقول حين قال جلاله: ﴿**فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ... وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا...**﴾، في حين نجده قد ترك العطف في سورة طه: ﴿**فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ...**﴾، وذلك لأنَّ جملة القول في سورة طه وقعت موقع عطف البيان مما قبلها، والبيان لا يعطف على المبين، وأما عن العطف في سورة الأعراف فهو يدل على أن الشيطان وسوس لهما وسوسة أخرى إجمالية قبل قوله: ﴿**مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا**﴾ بدليل ما ورد في سورة طه، حيث لم يعين فيها لهما الشجرة في محاولة لاستزلالهما أولا بهذا الإجمال، ولما ترددا في أمره أخذ يفصل هذه الوسوسة، ويعين لهما الشجرة، ويؤول لهما نهي ربهما عنها، وكان هذا الإمعان في الوسوسة في سورة الأعراف مناسبا لمقام التحذير من عداوة اللعين في السورة[87].

6_ عبَّر في سورة الأعراف عن مخالفة آدم لأمر الله بالذواق في قوله: ﴿**فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ**﴾، وفي سورة طه بالأكل: ﴿**فَأَكَلَا مِنْهَا**﴾: ولا خلاف بين التعبيرين، فالأكل المذكور في سورة طه يحمل على أنه كان قليلا جدا. ويضاف إلى ذلك مناسبة التصريح بالمعصية، والغواية فيها، والتصريح بلفظ الجوع في سورة طه، وأما الذواق في سورة الأعراف فمناسب لسياق النهي عن الاقتراب من الشجرة، ولمقام السورة القائم على التحذير من كيد إبليس[88].

دلالات متشابه أوامر الهبوط وما أعقبها

---

[86] المرجع السابق، ص192-193.
[87] انظر: المرجع نفسه، ص195- 196.
[88] انظر: المرجع نفسه، ص194.

﴿**قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38)**﴾ [البقرة:38]

﴿**قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123)**﴾ [طه:123]

نلاحظ وجود عدة اختلافات بين الآيتين، سنقف عند كل واحدة منها كما يلي:

1_ اختلاف الاستهلال بـ﴿**قُلْنَا**﴾، و﴿**قَالَ**﴾: قد سبق وأن ذكرنا أنَّ المقام في سورة البقرة كان مقام تكريم، لذلك ناسب إسناد الفعل إلى نفسه جلّ جلاله بضمير المتكلمين للتعظيم.

كما يقول محمد الصامل: "إنَّ القصة في آية البقرة جاء القول فيها مسندا إلى "نا" في المواضع التي ورد فيها القول مسندا إلى الله سبحانه[89]... فهذه الآيات جاء فيها الفعل "قلنا"، والقصة واحدة، والموضع واحد، فمن المناسب أن يكون الفعل مسندا إلى "نا" كالأفعال التي سبقته"[90].

وهذا بخلاف موضع آية طه حيث أنها سبقت بقوله جلّ جلاله: ﴿... **وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى(121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى**﴾ [طه:121-122]، ولهذا يقول محمد الصامل: "وهنا ثلاثة أفعال مسندة إلى لفظ (ربه)، وإلى ضميره، فكان المناسب أن يأتي الفعل بعدها متلائما معها، مسندا إلى ما أسندت إليه الأفعال قبله"[91].

2_ إسناد الفعل إلى ضمير الجمع في ﴿**اهْبِطُوا**﴾، وإلى ضمير التثنية في ﴿**اهْبِطَا**﴾: فنجد أنَّ الفعل قد صرّف مع ضميرين مختلفين هما واو الجماعة، وألف الاثنين، وذلك لرعاية مقامات الكلام، وسياقه. ومن الجدير بالذكر أنَّ أوامر الهبوط هذه

---

[89] انظر الآيات من سورة البقرة: [34-35-36].

[90] محمد الصامل، **من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم**، ص158.

[91] المرجع نفسه، ص158.

خاصة بآدم وزوجه[92]؛ لأنه قد أفرد إبليس بالهبوط، والخروج في سورة الأعراف، وذلك في قوله ﷻ: ﴿**قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ**﴾ [الأعراف:13]، وبالخروج في سورتي الحجر، وص حيث قال ﷻ: ﴿**قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ**﴾ [الحجر:34]، [ص:77][93].

جاء في سورة طه قوله: ﴿**اهْبِطَا**﴾، فقد ورد الأمر بالتثنية دون الجمع في هذه السورة مراعاة للسياق السابق في خطاب التثنية، مثل قوله ﷻ: ﴿**فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ**﴾[94].

وأما في سورة البقرة فقد قال: ﴿**اهْبِطُوا**﴾: حيث خوطبا بالجمع باعتبارهما أصل الذرية، فكأنَّ خطابهما منظور فيه إلى أنَّ هذا الهبوط ليس خاصا بهما، وإنما هو حكم عام، يسري من بعدهما إلى ذرياتهما، ففي هبوطهما هبوط لذرياتهما، ويؤيد ذلك ورود لفظ (**جَمِيعًا**) في بعض المواقع، خاصة أنه لم يرد إلا معقبا بما يدل على التكليف، وهذا ليس خاصا بآدم وحواء، وإنما يشملهما، وذرياتهما جميعا، بدليل قوله ﷻ: ﴿**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى**﴾[95].

3_ استعمال الفعل مجردا في ﴿**تَبِعَ**﴾، ومزيدا في ﴿**اتَّبَعَ**﴾: ذهب الكرماني إلى جعل الصيغتين في السورتين بمعنى واحد، وعلَّل الاختلاف في التعبير بالمناسبة اللفظية في

---

[92] يوجد احتمال شمول أوامر الهبوط لآدم وزوجه، ولإبليس أيضا، باعتبار الملازمة، فهو لا ينفك عن آدم وذريته إلى يوم القيامة، ويكون لفظ (جميعا) للدلالة على شمول الكل. انظر: عبد الجواد طبق، **متشابه النظم القرآني في قصة آدم**، ص207.

[93] انظر: المرجع نفسه، ص204.

[94] انظر: المرجع نفسه، ص207.

[95] انظر: المرجع نفسه، ص205.

قوله: "وإنما اختار في سورة طه "اتبع" موافقة لقوله جلّ جلاله: ﴿**يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ**﴾ [طه:108]"[96].

ويعلق صالح الشثري على هذا التعليل بأنه بعيد حيث قال: "فذكر الكرماني أنَّ اللفظين بمعنى واحد، وإنما اختار في طه لفظ (تَبِعَ) موافقة لما قبله في قوله ﴿**يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ**﴾ واكتفى بذلك، مع أن ما بين الآيتين أكثر من عشر آيات، وهو تخريج بعيد"[97].

في حين أنَّ ابن الزبير قد أشار إلى الفرق ما بين الصيغتين بقوله: "... فمن تبع لإنبائه عن الاتباع من غير تعمّل ولا مشقة، وأما اتبع، فإن هذه البنية أعني بنية افتعل تنبئ عن تعمّل وتحميل للنفس"[98].

ولهذا يقول عن موضع سورة البقرة: "... ولم يرد فيها مما كان من إبليس سوى ما أخبر به تعالى عنه من قوله: ﴿**فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا**﴾ [البقرة:36] من غير تعرض لكيفية تناوله ما فعل، ولا إبداء علة، ولا كبير معالجة ناسب هذا ﴿**تَبِعَ**﴾، ولما ورد في آية طه ذكر للكيفية في إغوائه بقوله: ﴿**هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى**﴾ [طه:120]... فناسبه ﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ**﴾ كما ناسب ما تقدم في آية البقرة ﴿**فَمَن تَبِعَ**﴾ من حيث لم يبسط فيها من كيد اللعين ما بسط في آية طه"[99].

وقد فتح ابن الزبير الباب لمن جاء بعده، حيث بنى عبد الجواد طبق على كلامه فقال: "وذلك أنَّ الفطرة السليمة لا تحتاج إلى تعمل، وعلاج في الاتباع، وأما ما يخرج عنها فهو المحتاج إلى ذلك، يدل على هذا قول إبراهيم عليه السلام: ﴿**فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ**

---

[96] الكرماني، **البرهان في توجيه متشابه القرآن**، ص27.

[97] صالح بن عبد الله الشثري، **المتشابه اللفظي وأسراره البلاغية في القرآن الكريم**، (المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ط، 1425هـ)، ص157.

[98] ابن الزبير الغرناطي، **ملاك التأويل**، ج1، ص190-191.

[99] المرجع نفسه، ج1، ص193-194.

مِنِّي﴾ [إبراهيم:36]، أي من جرى على مقتضى فطرته السليمة دون تعمل أو علاج (فإنه مني) أي على طريقتي السديدة في اتباع الفطرة، ولذلك قال جلّ جلاله: ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ**﴾ [القصص:50]؛ لأنَّ اتباع الهوى خروج عن الفطرة السليمة، وهذا يحتاج إلى تعمل، وتكلف، وعلاج"[100].

وعليه فإنَّ (تبع) بالتخفيف في سورة البقرة مناسبة للسياق السابق، حيث لم يذكر فيها سوى الإشارة المجملة إلى مخالفة آدم وحواء بالتعبير عنها بالزلة دون الدخول في تفاصيلها كإصرار الشيطان على الوسوسة لآدم، وتفصيل السبل التي سلكها في إغرائه وإغوائه، والمعالجة في تنفيذ مراده، ولذلك كان من المناسب في التعبير (تبع) لا (اتبع)[101].

وهذا بخلاف سورة طه التي ورد فيها شيء من تفصيل هذه الوسوسة مع التصريح بها، وبأنَّ آدم عليه السلام عصى وغوى، وهذا شيء خارج عن الفطرة السليمة، فلما كان هناك تعمل، وعلاج للوقوع في المعصية ناسب هذا الدلالة على أنَّ اتباع الهدى أمر يحتاج إلى شيء من المعالجة، والمشقة، والمقاومة للنفس[102].

وأما فاضل السامرائي فيقول: "(اتبع) الفعل بالتشديد يفيد المبالغة، فاكتفى في البقرة بالأخف من الحدث، ولم يشدد عليهم تخفيفا على البشر مراعاة لمقام التكريم، وهذا التخفيف الذي يفيد التلطف بالعباد جاء مع إسناد القول إلى نفسه، والتشديد جاء مع إسناد القول إلى الغائب (قال)."[103].

ثم يضيف قائلًا: "ولما كانت خاتمة آية طه تتعلق بالدنيا والآخرة بخلاف آية البقرة زاد في بناء الفعل إشارة إلى زيادة متعلقه، ثم إنَّ كل آية من الآيتين تقتضي الفعل الذي اختير

---

[100] عبد الجواد طبق، **متشابه النظم القرآني في قصة آدم**، ص219-220.

[101] انظر: المرجع نفسه، ص220.

[102] انظر: المرجع نفسه، ص220.

[103] فاضل السامرائي، **التعبير القرآني**، ص339.

لها من جهة أخرى، ذلك أن آية طه تتضمن أمرين: مجاهدة الضلال في الدنيا، والفوز في الآخرة، وآية البقرة تتضمن الفوز في الآخرة، والحالة الأولى تتطلب عملا أكثر وأشق، فجاء بالفعل الدال على المبالغة والتكلف للأمر الشاق، وجاء بالفعل الدال على المبالغة، والتكلف للأمر الشاق، وجاء بالفعل الخفيف للعمل الخفيف"[104].

وقد فرَّق أحمد إسماعيل بين التعبيرين بنكتة لطيفة تتعلق بمراعاة الخطاب للفرد والجماعة، وذلك في قوله: "إنَّ الآية الأولى تتحدث عن المسلك الطبيعي، وهو الاتباع بالفطرة، وبصيغة الجمع: ﴿... **فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [البقرة:38]، ﴿**وَالذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا**...﴾ [البقرة:39]، وتدل على السير مع الركب، والانقياد، وتسليم الأمر دون خوف أو حذر، أما الآية الثانية فتتحدث عن الفرد، وعن تقفي الأثر، وطلب اللحاق به، وإدراكه، ولذلك قال فيها: ﴿**فَلاَ يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى**﴾ [طه:123]"[105].

الخاتمة

تشتمل الخاتمة على أهم النتائج التي توصل إليها الباحثان من خلال هذه الدراسة المتواضعة حول الآيات المتشابهة من قصة آدم عليه السلام، وما تعلق بها من دلالات بيانية:

نتائج البحث

1- تجلَّى للباحثين من خلال قصة آدم عليه السلام جمال نظم القرآن الكريم، وقد ذكرا أبرز الأمثلة على هذا من خلال الآيات المتشابهة في القصة، ووقفا على بعض الحِكم والأسرار البيانية المعجزة.

---

[104] المرجع السابق، ص340.

[105] أحمد محمد أمين إسماعيل، **الإعجاز البلاغي لتحولات النظم القرآني في المتشابه من الألفاظ والتراكيب**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2011م)، ص51-52.

2- إنَّ الآيات المتشابهة في قصة آدم عليه السلام، تحوي كثيرًا من الدلالات البلاغية والبيانية، قد حاول الباحثان أن يدرك بعض أسرار تلك الآيات شديدة التشابه في مواطنها.

3- إنَّ من أبرز المواضيع التي يتجلَّى فيها جمال التعبير القرآني وروعته الآيات المتشابهة الألفاظ ذات الموضوع الواحد.

4- قد تبيَّن للباحثين أنَّه لا يمكن الإحاطة بجميع معاني حروف وألفاظ القرآن الكريم وتعبيراته، وإدراك أسرار ذلك كله، فهو الكتاب المعجز الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي أسراره، وما يعلم تأويله إلا الله جلَّ جلاله.

5- إنَّ الحرف الواحد في هذه الآيات المتشابهة معجز في موضعه الذي لايغني عنه غيره في تماسك الكلمة، وكذلك الكلمة في موضعها الذي لا يغني عنه غيرها في تماسك الجملة، وكذلك الجملة في موضعها الذي لا يغني عنه غيرها في تماسك الآية، وكذلك الآية في موضعها الذي لا يغني عنه غيرها في تماسك السورة، فالنص القرآني وحدة كاملة متكاملة.

6- تجلَّى للباحثين كثير من النكت البلاغية، والدلالات البيانية في الآيات المتشابهة في قصة آدم عليه السلام، من خلال الوقوف على أجزاء تلك الآيات في المواضع السبعة للقصة، حيث تبيَّن أنه لكل مقام سورة مقال يناسبه، وكذلك الدقة المتناهية للنظم القرآني في مراعاة مقتضيات الحال والسياق، مع جمال أسلوب القرآن الكريم وكماله في تنوع ألوان البيان في التعبير بالجمل الاسمية والفعلية، والتقديم والتأخير، والذكر والحذف، والحقيقة والمجاز.